حقيقة المهدويّة و الغيبة

دراسة تأصيليّة نقديّة لشبهات الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري

في كتابه أُصول مذهب الشيعة

تأليف: يحيى عبد الحسن الدوخي

www.ketab.ir

سرشناسه: دوخی، یحیی عبدالحسن
عنوان و نام پدید آور: حقیقة المهدویة و الغیبة دراسة تاصیلیة نقدیة لشبهات الدکتور ناصر بن عبدالله القفاری فی کتابه اصول مذهب الشیعه / تالیف یحیی عبدالحسن الدوخی.
مشخصات نشر: تهران: مشعر، ۱۳۹۰.
مشخصات ظاهری: ۲۹۲ص.
شابک: ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۰۸-۷
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتابنامه: ص. [۲۹۷] - ۳۲۰؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع : محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - غیبت
موضوع : قفاری، ناصر. اصول مذهب الشیعه الاثناعشریه - نقد و تفسیر
موضوع : شیعه - دفاعیه‌ها و ردیه‌ها
موضوع : حدیث - علم الرجال
موضوع : مهدویت - دفاعیه‌ها و ردیه‌ها
رده‌بندی کنگره: ۱۳۹۰ ۶۰۸۳۴ الف ۷ ق/ BP ۲۱۲/۵
شماره کتابشناسی ملی: ۲۳۳۵۰۲۵

www.ketab.ir

حقیقة المهدویة و الغیبة

○ بإشراف:	یحیی عبدالحسن الدوخی
○ تنضید الحروف والإخراج الفني:	مرکز أبحاث الحج
○ الناشر:	دار مشعر
○ المطبعة:	مشعر
○ الطبعة:	الاولی - ۱٤۳۲ هـ. ق.
○ الکمّیة:	۱۰۰۰ نسخة
○ السعر:	۳٤۰۰ تومانا

ردمک: ۷-۳۰۸-۵٤۰-۹٦٤-۹۷۸ ISBN: 978-964-540-308-7

مراکز پخش و فروشگاه‌های مشعر:

تهران: تلفن: ۶۴۵۱۲۰۰۳-۰۲۱ / قم: تلفن: ۷۸۳۸۴۰۰-۰۲۵۱

ديباجة المركز

الحمدلله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

إنّ الإعتقاد بمستقبل مشرق لأي أمّة بظهور المنقذ في آخر الزمان من أصول الاعتقادات المتفق عليها بين جمع الأمم، ولا يشذ المسلمون عن هذا الإعتقاد، بل هو من ضروريات دينهم الإسلامي، وقد عرّفه نبي الإسلامﷺ بالمهدي هذه الأمّة، وأنه من ولد فاطمةعليها السلام.

وقد حاول البعض ممن في قلوبهم مرض أن يروّجوا بأنّ العقيدة المهدوية عقيدة شيعيّه فحسب؛ تشويهاً لهذه الحقيقه الإلهية الناصعة، ويعد الدكتور عبدالله ناصر القفاري الوهابي في طليعة هؤلاء المنكرين لهذه الحقيقة؛ إذ لا يعبأ باستفاضة الأحاديث الواردة بخصوص المهديعليه السلام في كتب المسلمين؛ ليطفأ بذلك نور الله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾؛ مثيراً بذلك العديدة من الشبهات والادعائات والافترائات بهذا الخصوص.

وقد قام الأستاذ الدكتور يحيى عبدالحسن الدوخي، بدرء جميع هذه الشبهات وإبطالها ببحثه الشامل تحت عنوان «حقيقة المهدوية والغيبة» ليكشف عن زيف هذه الإدعائات

www.ketab.ir

الكاذبة والشبهات الواهية، دفاعاً منه عن الحقيقة الإسلامية الثابتة عند الجميع.

وفي الختام يتقدّم مركز بحوث الحج بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المحقق الفاضل، ونأمل بأن ينير هذا الأثر الطريق لطلاب الحقيقة والباحثين عن الحق.

انه ولي التوفيق

مركز بحوث الحج

قسم الكلام والعقائد الإسلامية

www.ketab.ir

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، وبعد:

من الصعب أن ينطق الإنسان بالحقيقة ويلامسها إذا كان عاجزاً عن إيجاد بعض الثغرات إن لم نقل بعدمها، لاسيما في الأمور العقائديّة والمذهبيّة، ومنطق التأريخ يحدّثنا عن صراع جدلي تحكمه الأيديولوجيّات والعادات والتقاليد والموروث السلفي التقليدي الجامد، فعندما ظهر التشيّع الذي أرسى أُصوله وقواعده رسول الله ﷺ ظهرت معه بوادر ذلك الصراع من خلال التشكيك وإلقاء الشبهات، ولم يتوقّف هذا السيل المتدفّق من خصوم هذا المذهب تشكيكاً في أُصوله ومبادئه وفروعه.

ولا يزال يجترّ أصحاب هذه الشبهات ما ورثوه من أسلافهم، ولكن ألبسوها ثوباً جديداً محاولين أن يضفوا عليها طابع العلميّة والموضوعيّة، ولكنّ الحقيقة تأبى إلاّ قبول الحقّ.

واليوم نجد أنّ هناك حملات مسعورة ضدّ التشيّع وأهله، فقد وجّهوا حملاتهم الضارية بافتراء وكَيْل الاتّهامات والشبهات جزافاً ـ ويكاد يكون العقل مغيّباً عن هذا الأمر ـ وذلك للنيل من كيان هذا الصرح الإسلامي العريق.

في حين أنّ الآيات القرآنيّة الكريمة والسنّة النبويّة الشريفة تؤكّدان على أن يكون

www.ketab.ir

الجدل والنقاش بالتي هي أحسن مع إقامة الحجج والبراهين، وأن يكون مطابقاً للحقّ وعدم الخوض في الباطل.

قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ (غافر: ٥٦).

وقد فسّر السلطان بالحجّة والبرهان الصحيح.

وقال النبيّ الأكرم ﷺ: «ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتّى ينزع عنه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال[1] حتّى يخرج ممّا قال»[2].

المنهجيّة الصحيحة للحوار

فالواجب الذي يفرضه المنطق والعقل والحكمة أن يكون الباحث والمحقّق العلمي متحلّياً بالموضوعيّة والأمانة والصدق، متّبعاً بذلك المنهج العلمي الدقيق والصحيح، الذي يخلو من التشنّج والتحيّز إلى مذهبه أو طائفته، وأن يبتعد قدر إمكانه عمّا ورثه من رواسب فكريّة جامدة من أشياخه وعمّن يقلّدهم؛ طالباً وراسماً بذلك هدفاً للوصول إلى الحقّ الذي ينشده.

وعليه أن يتحرّى ويستقي المصادر الصحيحة من الفرقة أو الطائفة التي يريد أن

---

(١) ردغة الخبال: هي عُصارة أهل النار. وقيل: هو الطين والوحل الكثير؛ لسان العرب، ج ٨، ص ٤٢٧ «ردغ».

(٢) سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، ج٢، ص١٦٤. وقد صحّحه الألباني في إرواء الغليل، قال: «قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم، غير يحيى بن راشد، وهو ثقة، وقد توبع من ثقات آخرين»... إرواء الغليل، محمّد ناصر الألباني، ج ٧، ص٣٤٩.

www.ketab.ir

يجادلها ويناقش أفكارها، معتمداً على أقوال كبار علمائهم وفقهائهم التي تمثّل كلمتهم الفَصل في مسائل العقيدة وغيرها.

وكذا لابدّ أن يلاحظ أنّ المسألة التي يفنّدها أو يشكّك فيها هي مورد تسالم وإجماع عند الآخرين، لا أن يلتزم بقول من لا يمثّل إلاّ رأيه ويجعله هو الفيصل، ومن ثمّ ينسبه بلا ورع ولا أمانة إلى تلك المدرسة أو الطائفة.

مضافاً إلى ذلك يجب عليه أن يراعي حرمة أدب الحوار في التعاطي مع من يناقشه أدباً وخلقاً ومنطقاً، منزّهاً لسانه عن السباب والذمّ والتهريج، بلا وازع من دين، فإذا كان الأسلوب المتّبع بهذه الطريقة والتي تتنافى مع خلق وروح الإسلام، فواضح أنّه يفتقد إلى الدليل والبرهان الذي يجب أن يقدّمه إلى من يناظره أو يجادله، فيلجأ إلى هذا الأُسلوب، هرباً وعجزاً عمّا وقع فيه.

فمن يريد طرق الحقيقة والبحث عنها والوصول إليها ومن ثمّ نوالها، لابدّ أن يسلك هذا المنهج الذي قدّمناه آنفاً، لاسيما وأنّ هذا المناظر أو المجادل أو الكاتب ممّن يريد أن يدافع عن الإسلام بحسب مدّعياته ومبتنياته الفكريّة والعقائديّة.

وأمّا إذا كانت غايته ومنهجه هي الهدم وليس النقد وكانت نيّته مبيّتة؛ والغرض هو التشنيع والتكفير والتبديع، فهذه من الطامّات التي ابتليت بها الأُمّة الإسلاميّة على طول التأريخ.

ومن البديهي أنّ من يسلك هذا المنهج فلازمه أن يكون خطأوه أكثر من صوابه، وفساده أكثر من إصلاحه.

غياب المنهجيّة العلميّة عند الدكتور ناصر القفاري

وهذا ما نجده شاخصاً وجليّاً عند الدكتور السلفي (ناصر بن عبد الله بن عليّ القفاري) في كتابه الموسوم بـ (أُصول مذهب الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة) والذي هو

www.ketab.ir

في الأصل أُطروحة نال بها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأُولى من جامعة الملك محمّد بن سعود الإسلاميّة، ولاسيّما في بحثه الذي عقده للمهدويّة، والذي أسماه (المهديّة والغيبة).

فالمتتبّع لكلام الدكتور القفاري في كتابه هذا لم يجده يفهم كلام الآخرين ولم يتعلّمه إطلاقاً؛ لعدم وجود المنهج الذي ينطلق منه عند نقده لآرائهم وأُسسهم الفكريّة؛ وهذا ناشئ من أمرين:

إمّا الجهل، أو الحقد والبغض للتشيّع، ولعلّ كلا الأمرين لا يعدوانه؛ لذا تجده يتّهم ويتقوّل عليهم بلا برهان وحجّة صحيحة، وهذا يخفي عجزه عن مواجهة الآخر، وتضطرب كلماته بدون تأمّل وإنصاف في نقل وجهة نظر الطرف المقابل له.

ثمّ لو تنزّلنا وقلنا: إنّه متفهّم ومتعلّم لكلام الآخرين؛ ولكنّ الأمَرّ والأدهى من ذلك أنّ التهمة للآخرين هي الأصل عنده، فلا يمكن أن تكون كلماته متوازنة وفق منهج صحيح ورؤية صادقة فيما يقول، فهو ينطلق من أنّ الآخر ضالّ وكافر وخارج عن الدين.

وهذا ما نجده في طيّات كلامه، قال: «وقد تبيّن أنّهم كفرة ليسوا من الإسلام في شيء...»[1].

ثمّ عقد بحثاً أسماه (القول بكفرهم)، وأجهد نفسه مفتخراً ومزهواً في البحث عمّن يقول بكفر الشيعة من أئمّة السنّة[2]. وعليه يتّضح أنّ لغة التكفير للمسلمين هي اللغة

---

(١) أُصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبد الله القفاري، ج ٣، ص١٥٥٢.

(٢) ادّعى القفاري أنّ أئمّة السنّة تفتي بكفر الشيعة كمالك وأحمد والبخاري، قال: «وقد ذهب إلى هذا كبار أئمّة الإسلام، كالإمام مالك، وأحمد، والبخاري، وغيرهم». ج٣، ص ١٥٠٩.
في حين أنّ هذه النسبة باطلة جزماً، فهؤلاء الأئمّة ذهبوا إلى القول بتكفير من يقول بتكفير الصحابة، ثمّ جاء الدكتور القفاري بعقله السلفي التكفيري الفتنوي ليلصق هذه الفتاوى بالشيعة، والشيعة من هذه التهمة براء؛ لأنّهم لا يمكن أن يكفّروا أيّ إنسان ينطق بالشهادتين فضلاً عن الصحابة الذين عاشوا بالقرب من أجواء الرسالة المحمّديّة السمحاء، وعاشوا شرف الصحبة. نعم، الشيعة تضع الصحابة في ميزان العدالة والتقوى، فهم بشر، والبشر يخطأ ويصيب. وبشريّتهم ندعونا لوضعهم في هذا الميزان. ⇦

www.ketab.ir

السائدة عند الدكتور القفاري.

لذا نجد استغراب بعض العقول المتحرّرة من هذا الفكر، كالأُستاذ السعودي حسن بن فرحان المالكي، حيث يستهجن هذا الخطاب وينقده بشدّة، مستغرباً ومستفهماً لغة هذا الخطاب اللامنهجي واللامعرفي،

قال: «أنا لا أستغرب صدور مثل هذه الأساليب، فنحن لم نتعلّم ـ إلى الآن ـ كيف نفهم كلام الآخرين؟! وكيف نحكم على أقوالهم ونيّاتهم؟! بمعنى إنّنا لم ندرس في حياتنا الدراسيّة منهجاً يعلّمنا ضوابط المعرفة لكلام الآخرين، وعلى هذا يجب على القارئ ألاّ يستغرب أبداً أن يجد في كتابات بعض الناس اتّهامات كثيرة بالتلميح أو التصريح؛ لأنّ هذا هو الأصل في طريقة تفكير كثير منّا، وطريقة تناوله لموضوعات المختلفين معه في الرأي، ولأنّ فيها إخفاء للعجز عن المواجهة، كما أنّ التهمة عند كثير من الناس ـ للأسف ـ هي الأصل حتّى تثبت البراءة، بينما العكس هو الصحيح أو المفترض»[1].

وقد أصاب الشيخ ابن فرحان المالكي كبد الحقيقة، وهذا الكلام هو عين ما نجده عند

⇦ قال السيّد محسن الأمين: «حكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتّم الحكم لها بمجرّد الصحبة، وهي لقاء النبيﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، وإنّ ذلك ليس كافياً في ثبوت العدالة بعد الاتّفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته، ولزمنا له من التعظيم والتوقير ـ بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله ـ ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم نقبل روايته، أمثال: مروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وبسر بن أرطاة، وبعض بني أميّة وأعوانهم، ومن جهلنا حاله في العدالة توقّفنا في قبول روايته». أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج١، ص١١٣.

هذا هو رأي الشيعة، فهل يستلزم الكفر والخروج عن ملّة الإسلام؟! فإطلاق كلمة الكفر تنبأ عن ذهنيّة معدّة سلفاً للتفريق بين طوائف المسلمين وزرع الفتنة بينهم، وكان الأولى به أن تكون كلمته موحّدة وليس مفرّقة، لاسيما أنّ كيان الأُمة الإسلاميّة ممزّق ومشتّت، ويراد له أن يكون هكذا، ونعتقد أنّ هذه الرسالة هي ممّن يدعم هذا التشرذم. والغريب أنّ رسالته نالت درجة الشرف الأولى، فهل تمزيق شمل الأمة وزرع ما يفرّقها يكافأ بهذه المرتبة؟!

(١) مع الدكتور العودة في عبد الله بن سبأ ودوره في الفتنة الكبرى، حسن بن فرحان المالكي، ص٦.

www.ketab.ir

الدكتور القفاري، فمنهجيّة الجدل بالتي هي أحسن، وبالحكمة والموعظة الحسنة والصدق والأمانة، لا نجد لها نصيباً في كتابه الذي يتّهم فيه الشيعة بأنواع التهم والافتراءات.

تحقيق خال من الصدق والأمانة والموضوعيّة

ولنأخذ عيّنات من كلامه قبل الورود إلى صميم البحث؛ ليطّلع قارئنا العزيز على مدّعياته التي تخلو من الصدق في القول والأمانة في النقل:

١. شهادات مزورة لنفي ولادة الإمام المهدي عليه السلام

قبل أن ننقل هذه الشهادات المحرّفة نأخذ عيّنات من كلامه، قال في مقدّمة كتابه: «وحقّقت القول بوجود المهدي الذي يقوم عليه مذهب الاثنا عشريّة اليوم، وعرض شهادات مهمّة صادرة من أسرة الحسن العسكري وأهل البيت والحسن العسكري نفسه، ومأخوذة من كتب الشيعة ذاتها»[١]. ويقصد بتلك الشهادات هي الشهادة بعدم وجود وولادة الإمام المهدي عليه السلام.

وقال أيضاً: «والموضوعيّة الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة، وأن تختار المصادر المعتمدة عندهم، وأن تعدل في الحكم، وأن تحرص على الروايات الموثّقة عندهم أو المستفيضة في مصادرهم»[٢].

وقال أيضاً: «والخلاصة أنّني لم أعمد إلاّ إلى كتبهم المعتمدة عندهم[٣]، في النقل

---

(١) أصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبد الله القفاري، ج١، صص١٥ و ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦.

(٣) الكتب التي اعتمد عليها القفاري في الحكم على الشيعة معظمها من المصادر المعتمدة عندهم وليس العكس، لاسيّما كتب ابن تيميّة وابن الجوزي والجبهان، فهذه هي المرجعيّة الفكريّة له، وكثيراً ما ينقل من كتب ثانويّة للشيعة كالبحار والوافي وغيرها، بل نجده ينقل من كتب مجهولة المؤلّف في بعض الأحيان، وذلك عندما طرح في بحث (عقيدة المعاصرين في كتاب الله) حيث نقل من كتاب اسمه (الشيعة والسنّة في الميزان، محاكمة بقلم س خ)، ج٣، ص١٢٠٤، فهنا نسب هذا الكتاب إلى الشيعة، ولا نعلم من هو (س خ)، فهل التزم القفاري بكلامه أنّه عمد إلى الكتب المعتمدة عند الشيعة؟!

www.ketab.ir

والاقتباس لتصوير المذهب»[1].

حينئذٍ نقول: إنّ أهمّ تحقيق وصل إليه الدكتور القفاري في نقده لمسألة المهدويّة هي عرض الشهادات المهمّة ـ بنظره ـ من أُسرة الإمام الحسن العسكري وأهل البيت عليهم السلام، والحسن العسكري عليه السلام بعدم ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وألزم نفسه بأن يكون موضوعيّاً وصادقاً وأميناً في النقل من الكتب والمصادر المعتمدة عند الشيعة، وأن يكون عادلاً في الحكم.

أمّا الشهادات المهمّة ـ بنظره ـ فهي كالتالي:

١ ـ شهادة أهل البيت عليهم السلام، أي: (ابن طومار) أحمد بن عبد الصمد، نقيب الطالبيّين كما يدّعي.

٢ ـ شهادة أُسرة الحسن العسكري عليه السلام، أي: جعفر الكذّاب (أخ الإمام العسكري عليه السلام).

٣ ـ شهادة الإمام العسكري عليه السلام نفسه.

شهادة ابن طومار

فلو تأمّلنا ورجعنا إلى كلماته وأقواله في الشهادة الأُولى ـ أي: شهادة ابن طومار ـ فهل صدق الدكتور القفاري في هذه الشهادة؟ وهل طبّق المعيار الآنف الذكر؟

قال: «إنّ لأهل البيت موقفاً صريحاً حاسماً في هذا الأمر، وهو من البراهين الواضحة على بطلان هذه الدعوى، حيث جاء في تاريخ الطبري في حوادث سنة ٣٠٢هـ: إنّ رجلاً ادّعى في زمن الخليفة المقتدر أنّه محمّد بن الحسن بن عليّ بن موسى بن جعفر، فأمر الخليفة بإحضار مشايخ آل أبيطالب، وعلى رأسهم نقيب الطالبيّين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن طومار.

فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن، وقد ضجّ بنو هاشم من دعوى هذا المدّعي

---

(١) أصول مذهب الشيعة، ج١، ص٢٧.

www.ketab.ir

وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشدّ عقوبة، فحمل على جمل وشهر يوم التروية ويوم عرفة، ثمّ حبس في حبس المصريّين بالجانب الغربي، وهذه الشهادة من بني هاشم، وعلى رأسهم نقيب الطالبيّين مهمّة؛ لأنّها من نقيب العلويّين الذي كان عظيم العناية بتسجيل أسماء مواليد هذه الأُسرة في سجّل رسمي»[١].

الجواب:

إنّ هذه الدعوى باطلة لعدّة وجوه:

الأوّل: إنّ هذه الواقعة ليس لها سند، فكيف يمكن الوثوق بحيثيّات هذه الواقعة؟! والدكتور ممّن ينادي ويطالب الشيعة بذكر الأسانيد، وهذا معيب جدّاً أن تذكر واقعة يفنّد بها عقائد الآخرين بلا سند.

فهذا لا يصدر إلاّ ممّن جهل العلم في هذه الصناعة، أو أنّ العصبيّة غلبت عليه فأنسته كيفيّة الاستدلال.

أضف إلى ذلك إنّها وردت في صلة تاريخ الطبري للقرطبي[٢]، وليس في تاريخ الطبري.

الوجه الثاني: من هو ابن طومار؟ فلابدّ أن نبحث عن ترجمة له لكي نثق بما يقول، فالشيعة لم تذكر ترجمة له، فهو مهمل عندهم.

وأمّا في التراجم السنّيّة فهو مجهول من حيث الوثاقة والضعف، بل نقل بعضهم أنّه من الذين لهم صنعة في الغناء.

قال الصفدي: «أحمد بن عبد الصمد أبو العبّاس المعروف بابن طومار، كان يتولّى النقابة على جميع بني هاشم العبّاسيّين والطالبيّين، جالس الموفّق والمعتضد.. له شعر وعلم بالغناء وصنعة فيه»[٣].

---

(١) أُصول مذهب الشيعة، ج٢، صص ١٠٩٤ و ١٠٩٥.

(٢) صلة تاريخ الطبري، القرطبي، ص ٣٥

(٣) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج ٧، ص٤٢.

www.ketab.ir

إذن فمن كان مجهولاً ومهملاً، وله صنعة في الغناء، كيف نثق بنقله ونجعله حجّة للطعن في عقائد الطوائف الإسلاميّة؟!

الوجه الثالث: ولو سلّمنا ـ ولا نسلّم قطعاً؛ لعدم وجود السند ـ بصدق هذه الواقعة، لكن نقول: إنّها لا علاقة لها بالإمام المهدي ولا الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ فليس فيها ذكر للإمام المهدي عجل الله فرجه، فإنّ هذا الرجل ادّعى أنّه (محمّد بن الحسن بن عليّ بن موسى بن جعفر الرضا عليه السلام)، ونؤكّد كلمة «الرضا» التي ذكرت في المصدر الأصل عند الطبري، بينما الذي تعتقد به الشيعة ويعترف به غيرهم هو (محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام) وأين هذا من ذاك؟ وللأسف نجد أنّ الدكتور حذف كلمة «الرضا» لعلمه المسبق بأنّ هناك اختلافاً بين الاسمين.

الوجه الرابع: إنّ الدكتور اتّحفنا بأنّ المعيار في النقل هو الصدق والموضوعيّة والأمانة، واعتماد المصادر الشيعيّة، بل ادّعى أنّه قد اعتمد ألاّ ينظر في المصادر الناقلة عنهم، وأن يتعامل مباشرة مع الكتاب الشيعي حتّى لا يتوجّه البحث وجهة أُخرى.

ولم نجده يلتزم بهذا الأمر؛ فمن حيث المصادر فالطبري ليس شيعيّاً؛ ومن حيث السند فساقط لا اعتبار له، ومن حيث الدلالة فهناك حذف لبعض الكلمات التي لها علاقة بأصل المسألة، فهي غير مرتبطة بالإمام المهدي عجل الله فرجه مطلقاً، فكان الأحرى بالدكتور أن ينأى بنفسه عن ذكر هذه الشروط؛ لعدم الوفاء بها، وكذلك يفقد مصداقيّة القارئ له.

شهادة الإمام العسكري عليه السلام

أمّا الشهادة الثانية التي ذكرها الدكتور القفاري فهي: أنّ الإمام العسكري عليه السلام هو من نفى ولادة ولده المهدي بنفسه، قال: «وعلاوة على ذلك كلّه فإنّ الحسن العسكري نفسه المنسوب له هذا الولد قد نفى ذلك وأنكره، حيث أسند وصيّته في مرضه الذي توفّي فيه إلى والدته، وأوكل لها النظر في أوقافه وصدقاته، وأشهد على ذلك وجوه الدولة وشهود

www.ketab.ir

القضاء، كما يروي ذلك الكليني في الكافي، وابن بابويه في إكمال الدين»[١].

الجواب:

إنّ ما استدلّ به الدكتور القفاري على هذه الدعوى باطل من وجوه:

الأوّل: إنّ هذا الاستدلال غريب، وهو ينبئ عن جهل أو استخفاف بعقل القارئ، فمن أين فهم القفاري أنّ الإمام العسكري نفى وأنكر ولادة ولده؟ وهل إسناد الوصيّة لغير ولده تدلّ على نفي الولد؟! وأيّ ملازمة بين الأمرين؟ نعم، لو شهد الإمام بنفسه ـ بمعنى أنّه تفوّه بإنكار ولده بلسانه ـ لصحّ هذا الكلام.

ثمّ إنّ أجواء الرواية تدلّ على أنّ السلطة الحاكمة آنذاك تبحث عن الولد بحيث تقول الرواية: «كانت سر من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة.. والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن عليّ»[٢]. وهذا دليل على الثبوت وليس النفي.

الوجه الثاني: إنّ الدكتور القفاري أغفل ذكر الروايات الأُخرى التي ذكرت أنّ الإمام العسكري عليه السلام قد صرّح بوجود ولده، وهذه الروايات صريحة بالمطابقة، وليس بالملازمة مع بعدها عن الواقع.

ومن تلك الروايات ما ذكره الكليني بسند صحيح[٣] عن محمّد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفري، قال: قلت لأبي محمّد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: «سل»، قلت: يا سيّدي، هل لك ولد؟ فقال: «نعم»، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: «بالمدينة»[٤].

وروى الكليني أيضاً في الكافي والمفيد في الإرشاد بسند صحيح عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن عليّ بن بلال، قال: «خرج إليّ من أبي محمّد قبل مضيّه بسنتين يخبرني

---

(١) أُصول مذهب الشيعة، ج٢، صص ١٠٩٨ و ١٠٩٩.

(٢) الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ٥٠٥.

(٣) ترجمنا لهذا السند وإنّه في غاية الصحّة والوثاقة، راجع شبهة (أنّ الإمام العسكري عليه السلام لم يعقب).

(٤) الكافي، ج١، ص٣٢٨.

www.ketab.ir

بالخلف من بعده، ثمّ خرج إليّ من قبل مضيّه بثلاثة أيّام يخبرني بالخلف من بعده»[١].

وهناك روايات أُخرى سنذكرها في بحوث لاحقة.

فكان الأولى بأمانة الدكتور ومصداقيّته أن يذكر هذه الروايات المصرّحة بالولادة، لا أن يكتفي برواية واحدة، وهي بالحقيقة لا تدلّ على مراده، بل هي تعلّل وتفسّر ما وقع على الإمام العسكريعليه السلام من جرأة السلطات الحاكمة؛ ممّا أدّى إلى إخفاء ولده، وهذا إثبات وليس نفي كما قلنا آنفاً.

الوجه الثالث: إنّ الشيخ الطوسي قد أجاب على هذا الإشكال، حيث فرضه أوّلاً، ثمّ أجاب عنه، قال: «فإن قيل: كيف يجوز أن يكون للحسن بن عليّعليه السلام ولد مع إسناده وصيّته في مرضه الذي توفي فيه...؟ ولو كان له ولد لذكره في الوصيّة.

قيل: إنّما فعل ذلك قصداً إلى تمام ما كان غرضه في إخفاء ولادته، وستر حاله عن سلطان الوقت، ولو ذكر ولده أو أسند وصيّته إليه، لناقض غرضه، خاصّة وهو احتاج إلى الإشهاد عليها وجوه الدولة، وأسباب السلطان، وشهود القضاة ليتحرّس بذلك وقوفه، ويتحفّظ صدقاته، ويتمّ به الستر على ولده بإهمال ذكره وحراسة مهجته بترك التنبيه على وجوده، ومن ظنّ أنّ ذلك دليل على بطلان دعوى الإماميّة في وجود ولد للحسنعليه السلام، كان بعيداً من معرفة العادات.

وقد فعل نظير ذلك الصادق جعفر بن محمّدعليه السلام حين أسند وصيّته إلى خمسة نفر، أوّلهم المنصور؛ إذ كان سلطان الوقت، ولم يفرد ابنه موسىعليه السلام بها إبقاء عليه، وأشهد معه الربيع وقاضي الوقت، وجاريته أُم ولده حميدة البربريّة، وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفرعليه السلام؛ لستر أمره وحراسة نفسه، ولم يذكر مع ولده موسى أحداً من أولاده الباقين؛ لعلمه كان فيهم من يدّعي مقامه من بعده، ويتعلّق بإدخاله في وصيّته، ولو لم يكن موسىعليه السلام ظاهراً مشهوراً في أولاده معروف المكان منه، وصحّة نسبه واشتهار فضله

(١) الكافي، ج١ ص٣٢٨؛ الإرشاد، ج٢، ص٣٤٨.

www.ketab.ir

وعلمه، وكان مستوراً لما ذكره في وصيّته، ولاقتصر على ذكر غيره، كما فعل الحسن بن عليّ والد صاحب الزمان عليه السلام»[١].

الوجه الرابع: إنّ علماء الأنساب والحفّاظ من أهل السنّة صرّحوا بولادة الإمام المهدي عليه السلام، وأنّه من ولد الإمام العسكري عليه السلام، وسنذكر بعض هذه الأقوال ـ كمثال ـ محيلين القارئ لشبهة (إنّ الإمام العسكري عليه السلام لم يعقب) فهناك فصّلنا القول في دفع هذه الشبهة.

فمن علماء الأنساب: السيّد الشريف نجم الدين أبي الحسن بن محمّد العلوي العمري، النسّابة المشهور، من أعلام القرن الخامس في كتابه «المجدي في أنساب الطالبيّين»، قال: «ومات أبو محمّد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله... وامتحن المؤمنون، بل كافّة الناس بغيبته»[٢].

وكذلك فخر الدين محمّد بن عمر الرازي الشافعي (ت٦٠٦هـ) في كتابه «الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة»، قال: «أمّا الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبنتان: أمّا الابنان فأحدهما: صاحب الزمان، والثاني موسى، درج في حياة أبيه..»[٣].

ومن الحفّاظ: شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتابه تاريخ الإسلام في ترجمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، قال: «وأمّا ابنه محمّد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجّة، فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين..»[٤].

يقول الأستاذ مصطفى الرافعي في كتابه (إسلامنا) بعد أن ذكر جملة من كبار علماء السنّة الذين قالوا بولادته: «وكثير غيرهم من علماء السنّة الأجلاّء الذين ذاع صيتهم ويذكرون بكلّ إعجاب وتقدير، هؤلاء وكثير غيرهم ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم يقولون

---

(١) الغيبة، الطوسي، صص ١٠٧ و ١٠٨.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيّين، عليّ بن محمّد العلوي العمري، ص١٣٠.

(٣) الشجرة المباركة، الفخر الرازي، صص ٧٨و ٧٩.

(٤) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج١٩، ص١١٣، حوادث سنة (٢٥١ ـ ٢٦٠هـ).

www.ketab.ir

بمقولة الإماميّة من أنّ المهدي هو محمّد بن الحسن العسكري، وأنّه حيّ.. ولا يجدون في مقولتهم هذه ما يناهض العقل»[١].

إذن فهل يمكن أن يصدّق القارئ بهذه الدعاوى، أم من حقّه أن يحاكم هذا الكاتب لهذا التشويه والتزوير الجلي والواضح؟!

شهادة جعفر (أخ الإمام الحسن العسكري عليه السلام)

أمّا الشهادة الثالثة، قال القفاري: «وعلاوة على شهادة نقيب الطالبيّين وبني هاشم، فإنّ أقرب الناس إلى الحسن العسكري ـ وهو أخوه جعفر ـ يؤكّد أنّ أخاه مات ولا نسل له ولا عقب، والشيعة يعترفون بذلك، بل ينقلون أنّه حبس جواري أخيه وحلائله حتّى ثبت له براءتهن من الحمل، وأنّه شنّع على من ادّعى ذلك، وأبلغ دولة الخلافة الإسلاميّة بتآمره..»[٢].

ثمّ قال بعد أسطر: «ولموقف جعفر المتميّز ضدّ محاولات الرموز الشيعيّة اختراع ولد لأخيه، ضاق الشيعة ذرعاً بأمره، حتّى لقّبوه بجعفر الكذّاب»[٣].

الجواب:

أيضاً هذه الشهادة باطلة لعدّة وجوه:

الأوّل: قول الدكتور القفاري باعتراف الشيعة بهذه الشهادة من أخيه جعفر يتناقض مع قوله الآخر: إنّ الشيعة ضاقت ذرعاً بأمر جعفر بحيث لقّبوه بالكذّاب، فكيف نجمع بين هذين القولين المتضاربين؟!

ثمّ كيف تعترف الشيعة بذلك وصلب عقيدتهم هي الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر؟ وهو من أصولهم الاعتقاديّة التي من المفترض أن يناقشهم عليها في أطروحته التي تحمل

---

(١) إسلامنا، مصطفى الرافعي، ص١٩٢.

(٢) أصول مذهب الشيعة، ج٢، ص ١٠٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٩٦.

www.ketab.ir

عدد أئمّتهم (أُصول مذهب الشيعة الاثنى عشريّة)، فهو يعترف أنّهم يعتقدون باثني عشر إماماً، و المهدي هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإماميّة، فكيف هم يعترفون بنفي ذلك؟! فلا نعلم أيّ تناقض هذا، أليس هذا الكلام ينفي موضوع الرسالة التي تحمل هذا العنوان؛ لأنّه فرض مسبقاً أنّ الشيعة تنفي ذلك؟!

الوجه الثاني: إنّ الشيخ الطوسي ردَّ على هذه الشبهة بكونها: «ليس بشبهة يعتمد على مثلها أحد من المحصّلين؛ لاتّفاق الكلّ على أنّ جعفراً لم يكن له عصمة كعصمة الأنبياء، فيمتنع عليه لذلك إنكار حقّ ودعوى باطل، بل الخطأ جائز عليه، والغلط غير ممتنع منه. وقد نطق القرآن بما كان من ولد يعقوب عليه السلام مع أخيهم يوسف عليه السلام، وطرحهم إيّاه في الجبّ، وبيعهم إيّاه بالثمن البخس، وهم أولاد الأنبياء، وفي الناس من يقول كانوا أنبياء. فإذا جاز منهم مثل ذلك مع عظم الخطأ فيه، فلِمَ لا يجوز مثله من جعفر بن عليّ مع ابن أخيه، وأن يفعل معه من الجحد طمعاً في الدنيا ونيلها؟ وهل يمنع من ذلك أحد إلاّ مكابر معاند؟!»[1].

وقد أشكل القفاري على هذا الدليل بقوله: «فالطوسي لا يقبل الإنكار من جعفر؛ لأنّه غير معصوم، ولكن الطوسي ومعه طائفة الاثنا عشريّة يقبلون دعوى عثمان بن سعيد في إثبات الولد ودعوى بابيّته، وهو غير معصوم، أليس هذا تناقضاً؟!»[2].

وهذا من الغرائب التي تنمّ عن جهل آخر يحمله الدكتور عن عقائد الشيعة وأُصولهم، فالطوسي والشيعة الاثنا عشريّة يؤمنون بإثبات ابن الإمام العسكري عليه السلام للأدلّة التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام، وينكرون من ينفي ذلك لما ورثوه من هذه الأدلّة؛ لذلك دفع الشيخ الطوسي شبهة جعفر الكذّاب؛ لعدم عصمته فالخطأ جائز في حقّه، ثمّ أعطى مصداقاً ذكره القران الكريم بما كان من ولد يعقوب عليه السلام مع أخيهم يوسف عليه السلام، وطرحهم إيّاه في الجبّ، وبيعهم إيّاه بالثمن البخس، لقاعدة: «حكم

(١) الغيبة، ص ١٠٧.

(٢) أُصول مذهب الشيعة، ج٢، صص ١٠٩٥ و ١٠٩٦.

www.ketab.ir

الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد»، فإذا جاز هناك جاز في هذا المورد.

ثمّ متى كان عثمان بن سعيد في مقام الإثبات للإمام، فلم نسمع بهذه الدعوى إلاّ من القفاري نفسه، فقياس جعفر الكذّاب بعثمان بن سعيد لا وجه له، وهو قياس مع الفارق.

الوجه الثالث: ولإبطال هذه الشهادة فقد اعترف جملة كبيرة من أعلام الطائفة السنّيّة بولادة الإمام المهدي، وهو من ولد الحسن العسكري، كما ذكرناه آنفاً وسيأتي لاحقاً بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الوجه الرابع: أضف إلى ذلك إنّ هذه الشهادة باطلة؛ لأنّها تجر نفعاً لصاحبها، كما تقرّر في باب القضاء، ومن المعلوم أنّ الروايات قد حدّثتنا أنّ جعفراً قد صرّح بذلك علناً عندما قال للسلطان: «اجعل لي مرتبة أبي وأخي وأوصل إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار مسلّمة...»[1].

إذن فهذه الشهادات الثلاث التي عقد عليها الدكتور القفاري الأمل وأوصله التحقيق إليها كلّها باطلة، بل لم نجد تلك الأمانة والموضوعيّة والصدق التي وعدنا بها الدكتور، فكيف يمكن أن نثق ونطمئنّ بمجمل أبحاثه لهذه العقيدة؟ وسيجد قارئنا العزيز الكثير من هذه الدعاوى الموهومة والمختلقة التي سنكشف ـ بإذنه تعالى ـ زيفها، وسنثبت أنّها لا نصيب لها من الصحّة والواقعيّة.

٢. أحكام جزافية روحها التعصب المذهبي والطائفي

أ ـ الشيعة تتبع إمام معدوم وكتاب موهوم وجعفر مزعوم!!

ومن النماذج الخالية من التحقيق العلمي والموضوعي أيضاً قوله في خلاصة خاتمة الكتاب: «وكم هي معاناة أن نقرأ وتستمع لقوم أشقاهم الله، فأضلّهم وأعمى أبصارهم، فصاروا يتبعون إماماً معدوماً، ويقولون بكتاب موهوم، وجعفر مزعوم،

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص ٤٤.

www.ketab.ir

وأساطير أُخرى..»[١].

في هذا المقطع أصدر الدكتور القفاري حكماً على الشيعة بأنّهم قوم أشقياء أعمى الله بصيرتهم؛ لأنّهم يتبعون الإمام المهدي عليه السلام المعدوم في نظره!! وكذلك يقولون بكتاب موهوم، ولعلّه إشارة إلى القرآن الكريم وأنّه محرّف!! وجعفر مزعوم!! إشارة إلى الإمام الصادق عليه السلام الذي يعدّ المرجع للطائفة الشيعيّة في الأحاديث والروايات.

فهنا حكم سلفاً على طائفة من المسلمين بأُمور تجانب وتجافي الحقيقة تماماً، وأغمض عينيه عن الحقائق التي دعت الشيعة للتمسّك بأهل البيت عليهم السلام، فالشيعة إنّما تتبع الإمام المهدي عليه السلام لما ورد فيه من روايات متواترة أنبأ وأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ولادته بمئات السنين، وقد أخرج الأئمّة من أهل السنّة أحاديث الإمام المهدي عليه السلام مسندة إلى الإمام علي عليه السلام وابن عباس وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأُم سلمة وغيرهم.

فقد روى أبو داود السجستاني في سننه والترمذي في صحيحه قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً منّي أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»[٢].

---

(١) أُصول مذهب الشيعة، ج٣، ص ١٥٤١.

(٢) وهناك من أورد إشكالاً على هذا الحديث بإضافة (اسم أبيه اسم أبي) فيكون اسم أب الإمام المهدي هو (عبد الله) وليس (الحسن العسكري)، ولكن يرد عليه:

أوّلاً: من له خبرة بتتبّع الطرق لا يشكّ بأنّ لفظ (اسم أبيه اسم أبي) هو زيادة؛ وذلك لأنّنا نجد أنّ كبار الحفّاظ والمحدّثين قد أعرضوا عنها في تلك الروايات، بل الظاهر أنّ الثابت عنهم وبأسانيد صحيحة رواية: (واسمه اسمي) فقط، كما رواها الترمذي في سننه وقال عنه: «حديث صحيح»، ج٣، ص٣٤٣، وأحمد بن حنبل في مسنده، ج ١، صص ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٣٠، ٤٤٨ والحاكم في مستدركه، ج٤، ص ٤٤٢، وغيرهم.

ثانياً: على فرض وجود هذا اللفظ، فلا نستبعد وقوع التصحيف فيه، فلعلّ كلمة (ابني) صحّفت إلى (أبي) فحذف حرف النون، وهذا ممكن الوقوع، فالعبارة الصحيحة تكون: (اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابني) أي: الحسن العسكري، وخير دليل على ذلك قول رسول الله وهو يصف الإمام الحجّة بقوله: «وكنيته كنيتي». ولم نجد الدكتور القفاري يتعرّض لهذه الشبهة، ولعلّه يعلم أنّ هذه الزيادة أُدرجت في بعض النصوص، وأنّ أكثر العلماء يرفضونها، والصيغة الصحيحة هي (اسمه اسمي) كما تقدّم.

www.ketab.ir

وقال الحافظ أبو الحسن محمّد بن الحسين الآبري السجزي (ت ٣٦٣هـ) في كتابه (مناقب الشافعي): «وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول اللهﷺ بذكر المهدي، وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، وأنّ عيسىعليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجّال، وأنّه يؤمّ هذه الأُمّة، ويصلّي عيسى خلفه. في طول من قصّته وأمره»[1].

وقال القرطبي المالكي (ت ٧١٦هـ) في تفسيره: «الأخبار الصحاح قد تواترت على أنّ المهدي من عترة الرسولﷺ»[2].

وهكذا جاءت عبر طائفة كبيرة من كبار علماء أهل السنّة الذين صرّحوا بولادة الإمام المهديعليه السلام، كما سيأتي بيانه مفصّلاً في لاحق الأبحاث.

وأمّا الكتاب الموهوم فلا يوجد في بيوت الشيعة ومساجدهم سوى هذا المصحف الذي بين يدي المسلمين، ولعلّ أكثر الطبعات هو ما كان على نفقة الملك فهد بن سعود المشهورة.

إقرار أهل السنّة بفضل الإمام الصادقعليه السلام

وأمّا الإمام الصادقعليه السلام ـ المزعوم عند القفاري ـ فقد ذكروا مشايخ القفاري أنّ جلّ علمائهم الكبار كانوا ممّن يرجع إليه ويأخذ العلم عنه، كمالك والزهري وأبي حنيفة والشافعي، فهمعليهم السلام قدوة وأُسوة أهل السنّة كما يعبّرون في نصوصهم.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي: «ويقرّ أهل السنّة للصادق بهذا الفضل (أي: بالرجوع إليه وأخذ العلم منه)؛ إذ يقول صاحب التحفة الاثني عشريّة إنّ الأئمّة المتأخّرين ـ كالسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا ـ كانوا قدوة أهل السنّة وأُسوة لهم؛ إذ علماؤهم ـ كالزهري وأبي حنيفة ومالك ـ أخذوا العلم عنهم، وقد روى محدّثو

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج٩، ص١٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٨، صص ١٢١ و ١٢٢.

www.ketab.ir

أهل السنّة عنهم في كلّ فن ـ لاسيّما في التفسير ـ أحاديث كثيرة»[١].

والذهبي المعروف بتشدّده يصف الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «أحد الأعلام، برّ، صادق، كبير الشأن»[٢].

ومع عداوة ابن خلدون للشيعة[٣]، فإنّه لا ينكر فضل الإمام الصادق عليه السلام وأهل بيته من الولاية، ويقرّ لهم بصحّة أسانيدهم، قال: «ولو صحّ السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنّك بهم علماً ودِيناً وآثاراً من النبوءة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه».

وقال: «تقرّر في الشريعة أنّ البشر محجوبون عن الغيب إلاّ من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية». وقال: «وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك، مستندهم فيه ـ والله أعلم ـ الكشف بما كانوا عليه من الولاية، فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة»[٤].

إذن فهل يستقيم قول الدكتور القفاري حين قذف ـ وبلا حياء ـ طائفة كبيرة من المسلمين: «بأنّهم قوم أشقاهم الله فأضلّهم، وأعمى أبصارهم، فصاروا يتبعون إماماً معدوماً، ويقولون بكتاب موهوم، وجعفر مزعوم...»[٥]!!

ب ـ رجال أحاديث الشيعة أسماء لا مسمّى لها

وقال أيضاً: «ورجال أحاديثهم فيهم أسماء لا مسمّى لها، وأكثرهم ينتحل المذاهب الفاسدة في نظر الاثني عشريّة نفسها، فهم في عداد الكفرة... والرافضة تقيم كلّ

---

(١) نظريّة الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة، أحمد محمود صبحي، ص ٣٧٥؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج١، ص٣٣١.

(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج١، ص ١١٤.

(٣) صرّح بهذه المفردة (العداوة للشيعة) الدكتور أحمد محمود صبحي، ص ٣٧٥.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٣٣١؛ وانظر: نظريّة الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة، ص ٣٧٥.

(٥) أصول مذهب الشيعة، ج٣، ص ١٥٤١.

www.ketab.ir

عقائدها ومبادئها على روايات من وضع هؤلاء الأفّاكين، نسبوها للأئمّة، والأئمّة منها براء؛ إذ منهم من هو خليفة راشد يجب طاعته كالخلفاء قبله وهو عليّ، ومنهم من هو من أئمّة العلم والدين كعليّ بن الحسين، وأبي جعفر الباقر، وجعفر الصادق، ويجب لهم ما يجب لأمثالهم من أئمّة العلم والدين، ومنهم دون ذلك، ومنهم من ضعّفه بعض أهل العلم وهو الحسن العسكري، ومنهم معدوم ولا وجود له وهو إمامهم المزعوم منذ سنة (٢٦٠هـ)، وكلّ ما ينسبونه لهم من غلو هو من اختراع زنادقة القرون البائدة»[1].

فهذا النصّ الذي ذكره الدكتور القفاري يكشف عن نفس عدوانيّة متعصّبة لا تعي ما تقول، وإن وعت فهي لا تريد إدراك الحقّ.

فنسأل الدكتور: من هم هؤلاء الأفّاكين الذين تقيم الشيعة عليهم عقائدها، وهم أسماء لا مسمّى لهم؟ فياليته ذكر ذلك وأفصح وأبان عنه، ولكن أنّى له ذلك؟! فرجال أحاديث الشيعة لهم من الفضل والعلم والتقوى ما هو مقرّر في كتب تراجمهم، ويشهد بفضلهم العامّ والخاصّ، وهم بدورهم يخضعون أسانيد كلّ كتبهم بما فيها الكتب الأربعة ـ للكليني والصدوق والطوسي ـ إلى القواعد المقرّرة في علم الرجال والدراية وعلم الجرح والتعديل.

وثيقة الإمام عليّ عليه السلام في علم الدراية والرجال

ولو تأمّلنا في تلك الوثيقة الرائعة التي يرسمها أمير المؤمنين عليه السلام بأبهى وأروع صورة في علم الرجال والدراية والجرح والتعديل، فهو يُعدّ المؤسّس لهذا العلم[2]، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:

---

(١) أصول مذهب الشيعة، ج٣، ص ١٥٤٨.

(٢) وبهذا تسقط تلك الشبهات التي تقول بأنّ الشيعة ليس لهم علم جرح وتعديل، فإنّ هذه الوثيقة تدحض هذه الشبهة.

www.ketab.ir

ومن كلام لهﷺ وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقالﷺ: «إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول اللهﷺ على عهده حتّى قام خطيباً، فقال: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار»، وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول اللهﷺ متعمّداً، فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله،. . فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمّد كذباً، فهو في يديه، ويرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول اللهﷺ، فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول اللهﷺ شيئاً يأمر به، ثمّ إنّه نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثمّ أمر به، وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ، ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب؛ خوفاً من الله وتعظيماً لرسول اللهﷺ، ولم يهم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على سمعه، لم يزد فيه ولم ينقص منه، فهو حفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنّب عنه، وعرف الخاصّ والعامّ، والمحكم والمتشابه، فوضع كلّ شيء موضعه.

وقد كان يكون من رسول اللهﷺ الكلام له وجهان: فكلام خاصّ، وكلام عامّ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به، ولا ما عنى رسول اللهﷺ، فيحمله السامع ويوجّهه على غير معرفة بمعناه، وما قصد به، وما خرج من أجله، وليس كلّ أصحاب رسول اللهﷺ من كان يسأله ويستفهمه، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطارئ، فيسألهﷺ حتّى يسمعوا، وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلاّ سألته عنه

www.ketab.ir

وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم»[١].

ولذا طالما كان أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب شيعته قائلاً: «إذا حدّثتم بحديث فاسندوه إلى الذي حدّثكم، فإن كان حقّاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه»[٢].

والشيعة تتبع هذا المنهج الذي رسمه إمام الموحّدين، فهم الأكثر تشدّداً في هذا المجال، وتكفيك نظرة في (معجم رجال الحديث) للسيّد الخوئي رحمه الله، فقد دقّق ومحّص هذا العالم وأبلى البلاء الحسن في الأخذ والردّ في هذا الفن.

نعم، قد ورد في بعض الأسانيد من هو ليس من مذهبهم، فطبّقوا على تلك الأحاديث بعض القواعد، منها: الوثوق أو الوثاقة في حجّية الخبر، فالخبر إذا كان صحيحاً لا يضرّ فساد ناقله، وكتب الحديث السنّيّة المشهورة مشحونة بهذه الأحاديث لاسيما في كتب الصحاح (البخاري) و (مسلم) فقد صحّحوا للنواصب والخوارج والمبتدعة وغيرهم، فهل يصحّ لنا أن نطرح هذه الصحاح لإفك هؤلاء كما يدّعي الدكتور القفاري؟

تصحيح الأحاديث المرويّة عن الخوارج والنواصب

قال المحقّق أحمد محمّد شاكر (ت ١٣٧٧هـ)[٣] في شرحه كتاب (الباعث الحثيث)، عند تعرّضه للأقوال في رواية المبتدع: «وهذه الأقوال كلّها نظريّة، والعبرة في الرواية بصدق الراوي وأمانته، والثقة بدينه وخلقه، والمتتبّع لأحوال الرواة يرى كثيراً من أهل البدع موضعاً للثقة والاطمئنان، وإن رووا ما يوافق رأيهم»[٤].

---

(١) نهج البلاغة، محمّد عبده، ج٢، صص ١٩٠ و ١٩١.

(٢) الكافي، ج١، ص٥٢.

(٣) عالم بالحديث والتفسير، مصري، مولده ووفاته في القاهرة. وأبواه من بلاد (جرجا) بصعيد مصر... انقطع للتأليف والنشر إلى أن توفّي. أعظم أعماله شرح (مسند الإمام أحمد بن حنبل) خمسة عشر جزءاً، و (عمدة التفسير) أربعة أجزاء منه في اختصار تفسير ابن كثير. ومن كتبه (نظام الطلاق في الإسلام) لم يتقيّد فيه بمذهب... الأعلام، خير الدين محمود بن محمّد الزركلي، ج١، ص٢٥٣.

(٤) الباعث الحثيث، أحمد محمّد شاكر، ص١٠٢.

www.ketab.ir

وقال المحدّث أحمد بن الصدّيق المغربي (ت١٣٨٠هـ)[١] في كتابه (فتح الملك العليّ): «وما سمعته في مطاوي فحاوي هذه النقولات من الخلاف في أصل المسألة إنّما هو في لسان المخالف لا في عمله، وفي مقاله لا في تصرّفه، فإنّهم مجمعون على توثيق المبتدعة، وقبول روايتهم، والاحتجاج بأخبارهم، لم يخالف في ذلك أحد منهم أصلاً»[٢].

والذي صحّح ونظّر لهذه المعادلة هو ما نجده في طيّات كلام الخطيب البغدادي في «الكفاية» بسنده عن أبي عبيد محمّد بن عليّ الآجري، قال: «سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث يقول: ليس في أصحاب الأهواء أصحّ حديثاً من الخوارج، ثمّ ذكر عمران بن حطّان، وأبا حسّان الأعرج»[٣].

ونجد عين هذا الكلام عند ابن تيميّة الحرّاني، قال: «والخوارج صادقون، فحديثهم من أصحّ الحديث، وحديث الشيعة من أكذب الحديث»[٤].

وقال في كتابه «الجواب الصحيح»: «لم يكن فيهم [الخوارج] من يعرف بالكذب، بل

---

(١) هو: شهاب الدين أبو الفيض أحمد بن محمّد بن الصدّيق، الإدريسي الحسني، ينتهي نسبه إلى الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب. ولد الشيخ يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٢٠ بقبيلة بني سعيد، تلقّى الشيخ أحمد بن الصدّيق مبادئ العلوم في بلده على يد والده وتلامذته. ثمّ توجّه إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف سنة ١٣٣٩هـ، يعدّ الشيخ أحمد بن الصدّيق الغماري رحمه الله أحد أعلام المحدّثين الذين برزوا في القرون المتأخّرة، ولا أدلّ على ذلك من كتبه وأجزائه الحديثيّة الكثيرة، التي برز فيها سعة اطّلاعه، وتمكّنه في الصناعة الحديثيّة، وقوّة استحضاره للمتون، وبراعته في توظيف القواعد الحديثيّة، ومعرفته التامّة بالرجال وطبقاتهم، الشيء الذي أهلّه لأن يدّعي لنفسه الاجتهاد في التصحيح والتضعيف، والردّ والقبول، بل والتجريح والتعديل.

وقد بلغ في الحديث إلى درجة الحفّاظ الأقدمين أهل النقد والاجتهاد والتحقيق فيه، ما لم يصل إليه أحد من المحدّثين بعد الحافظ ابن حجر والسخاوي، بل وفي بعض المسائل لَه اليد المطلقة أكثر منهما وإن لم يصل إلى درجة الحفظ والاطّلاع إلى درجتهما؛ لعدم وجود الأُصول التي وقفا عليها، ولو تيسّرت لَه الأُصول التي تيسّرت لهما لما انحطّت رتبته عنهما. انظر: البحر العميق، أحمد بن الصدّيق المغربي ص: ٦٥، مخطوط.

(٢) فتح الملك العليّ، أحمد بن الصدّيق المغربي، ص١٠٤.

(٣) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص ١٥٨.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيميّة الحرّاني، ج١٣، ص٢٠٩.

www.ketab.ir

يقال: هم من أصدق الناس حديثاً»[١].

وقال التهانوي: «والخوارج أصدق من الرافضة، بل الخوارج لا نعرف عنهم أنّهم يتعمّدون الكذب، بل هم من أصدق الناس»[٢].

وقد دافع ابن حجر في «فتح الباري» بحرارة عن البخاري ليصحّح ما رواه عن ابن حطّان الخارجي الناصبي، قائلاً: «إنّه من المتابعات»، ثمّ قال: «ورأيت بعض الأئمّة يزعم أنّ البخاري إنّما أخرج له ما حمل عنه قبل أن يرى رأي الخوارج، وليس ذلك الاعتذار بقويّ؛ لأنّ يحيى بن أبي كثير إنّما سمع منه باليمامة في حال هروبه من الحجّاج وكان الحجّاج يطلبه ليقتله لرأيه رأي الخوارج وقصّته في ذلك مشهورة»[٣].

فهو يعترف بأنّ البخاري أخرج له، ثمّ ردّ من قال بأنّ البخاري خرّج له قبل أن ينتحل رأي الخوارج.

وقال ابن حجر في «النواصب»: «فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسّك بأُمور الديانة..»[٤].

إذن هناك ممّن هو خارجي مبتدع وناصبي، ولكن نجد أنّ كبار أهل السنّة وحفّاظهم قد خرّجوا لهم في كتبهم وصحاحهم، في حين أنّهم يرون في الوقت عينه أنّ الخوارج وغيرهم خارجين ومارقين عن الدين.

فقد أخرج البخاري في «صحيحه» بسنده عن يسير بن عمرو، قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبيّ يقول في الخوارج شيئاً؟ قال: سمعته يقول ـ وأهوى بيده قبل العراق ـ: «يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية»[٥].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيميّة الحرّاني، ج٦، ص٤٥٥.

(٢) قواعد في علوم الحديث، ظفر أحمد التهانوي، ص٤٤٣.

(٣) مقدّمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١، ص ٤٣٢.

(٤) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج٨، ص٤١١.

(٥) صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، ج٦، ص٢٥٤١.

www.ketab.ir

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زيد وهب الجهني: أنّه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليّ عليه السلام: «أيّها الناس، إنّي سمعت رسول الله يقول: يخرج قوم من أُمّتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون يحسبون أنّه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية»[1].

وحينئذ نقول للدكتور القفاري: هل أحاديث الشيعة فيها أسماء لا مسمّى لها، وأكثرهم ينتحل المذاهب الفاسدة، فهم في عداد الكفرة... وأنّ الرافضة تقيم كلّ عقائدها ومبادئها على روايات من وضع الأفّاكين، أم أنّ صحاحكم هي من حوك هؤلاء الأفّاكين من الخوارج والمبتدعين والنواصب، الذين أجمعت عليهم أيضاً كتبكم بمروقهم عن الدين والملّة والإسلام؟! وعليه فلابدّ من مراجعة وتنقية تلك الأسانيد ممّا علق بها من شوائب النصب والبدع وغير ذلك، بدل قذف المسلمين بتهم لا طائل منها، وتفتقد للأمانة والصدق.

ج ـ استعارة لغة ابن تيميّة وابن الجوزي في التطاول على أئمّة أهل البيت عليهم السلام وتضعيف الإمام العسكري عليه السلام

وأمّا قوله: «منهم من هو خليفة راشد يجب طاعته..، ومنهم دون ذلك، ومنهم من ضعّفه بعض أهل العلم، وهو الحسن العسكري، ومنهم معدوم ولا وجود له، وهو إمامهم المزعوم منذ سنة (٢٦٠هـ)..»[2].

نقول: في هذا النص نجد أنّ التطاول على رموز مذهب أهل البيت عليهم السلام قد طفح وبان شأوه[3]، فهو يستعير لغة ابن تيميّة وابن حزم في الطعن على أئمّة المذهب الشيعي،

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النيسابوري القشيري، ج٢، ص٧٤٦.

(٢) أُصول مذهب الشيعة، ج٣ ص ١٥٤٨.

(٣) شأوه: أي رائحته وغليته. كتاب العين، ج ٦، ص ٢٩٧ «شأو».

www.ketab.ir

وهذا ليس غريباً فقد سبقه في ذلك شيخه شيخ الإسلام فقد اتّهم الإمام عليّ وفاطمة عليها السلام بأبشع التهم التي يقشعّر منها بدن الإنسان، قال في «منهاج السنة»: «وقد أنزل الله تعالى في عليّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾، لمّا صلّى فقرأ وخلط».

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً»، لمّا قال له ولفاطمة: «ألا تصلّيان؟»، فقالا: «إنّما أنفسنا بيد الله سبحانه وتعالى»[1].

فابن تيميّة ينصب العداء لأهل البيت عليهم السلام، بشهادة بعض العلماء كما سنذكره، وعليه فالقفاري يقتفي نفس الأثر في النصب، وهذه الشبهة تلاحقه في جميع أبحاثه؛ قال الغماري في «فتح الملك العليّ» فيمن تنكّر لفضائل عليّ عليه السلام: «كما صرّح به بعض من رفع جلباب الحياء عن وجهه من غلاة النواصب، كابن تيميّة وأضاربه، ولذلك تراهم عندما يضيق بهم هذا المخرج ولا يجدون توصّلاً منه إلى الطعن في حديث ـ لتواتره أو وجوده في الصحيحين ـ يميلون به إلى مسلك آخر، وهو التأويل وصرف اللفظ عن ظاهره»[2].

ونفس هذا الأسلوب سار عليه واقتفاه الدكتور القفاري في تعامله مع أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه المتواترة، فتارة يقول بالخرافة والأُسطورة، وتارة أُخرى ينفي ولادته مع اعتراف جملة كبيرة من كبار علماء طائفته، وتارة يسخّف آراء الآخرين ويتلاعب بالألفاظ، وذلك بصرفها عن ظاهرها، كما ستجده في معظم أبحاثه التي سوف نطرقها قريباً.

إذن فمن كان هذا حاله فكيف يمكن الوثوق بموضوعيّته وأمانته وصدقه؟! فشهادته قطعاً تكون مجروحة، والقارئ الحصيف لا يمكن أن يطمئن بما ينقله عن عقائد الشيعة وإن ادّعى ذلك.

---

(١) منهاج السنّة، ابن تيميّة الحرّاني، ج٧، ص٢٣٧.

(٢) فتح الملك العليّ، ص ١٠٩.

www.ketab.ir

جلّ كتب ابن تيميّة (وجادة) لا سند متّصل لها

أضف إلى ذلك إنّ شيخ الإسلام الذي قد امتلأت رسالة الدكتور القفاري باجترار ما يقول ـ لو أحصينا كلماته لوجدناها تبلغ نصف هذه الرسالة أو أكثر ـ جلّ كتبه هي وجادة، فالإشكال الكبير الذي يرد على الدكتور القفاري هو أنّ رسالته حملت مفاهيم وأفكار ابن تيميّة في كتبه المشهورة، فقد أحصيت الموارد التي ردّدها عن ابن تيميّة فبلغت أكثر من مائة وخمسين مورداً، وغير ذلك من الموارد التي بلورت بصيغة أخرى ولم ينسبها إليه، وعلى هذا تكون أكثر شبهات هذه الرسالة هي من كلام ابن تيميّة؛ في حين أنّ كتب ابن تيميّة وجادة لا سند متّصل لها، والوجادة ـ كما هو معلوم بداهةً عند أهل الفن ـ من أضعف طرق التحميل، وعليه فيكون كلام ابن تيميّة وتبعاً له كلام القفاري تشوبه هذه الشبهة ممّا يجعلنا نتوقّف في مروياته ومجازفاته وحملاته الظالمة ضدّ الشيعة.

الدكتور محمود سعيد ممدوح يصرّح بوجادة كتب ابن تيميّة

قال الدكتور محمود سعيد ممدوح، في محاضرة له عن السلفيّة: «إنّ جلّ مصنّفاته (وجادة) ما معنى هذا؟.. ابن تيميّة بينه و بين أهل عصره شدٌّ و جذبٌ، و كان بينه و بين أهل عصره ردود و مخالفات. و عندما تُوفّي رحمه الله انتقل هذا الشقاق و الخصام إلى تلاميذه، و لكن ضعُفت الحدّة والقوّة، (وبوفاة تلاميذه انتهى هذا الأمر نهائيّاً).

بعض الحنابلة كانوا يحبّون ابن تيميّة ووجدوا كتب ابن تيميّة و أرادوا أن يحافظوا عليها، وجاء أحدهم ـ و هو ابن عروة الحنبلي ـ و أخذ نسخة من هذه الكتب، و كان كثير من الناس ينسخوا في حياته، فأخذ نسخة من هذه الكتب، فوضعها في داخل شرح له في البخاري، و وضعها في المكتبة الظاهريّة في دمشق ـ هذا ابن عروة الحنبلي ـ فعل ذلك بعد وفاة ابن تيميّة بعشرات السنين، ثمّ تركت هذه الكتب في

www.ketab.ir

المكتبة الظاهريّة، إلى أن جاء القرن الثالث عشر الهجري، ابتدأت العناية بعض الشيء لكتب ابن تيميّة، فوجدوها، فهي (وجادة) يعني وجدوها هكذا لا سند متّصل بها بابن تيميّة، ولا مقروءة على مشايخ قرأوها على مشايخهم إلى ابن تيميّة، كما هي العادة في جميع الكتب... ينبغي أيّ كتاب يكون مخطوط يكون موثّق، قرئ على بعض العلماء، قرئ على المصنّف، و كتب على خطّ مصنّف، أو المصنّف عمل عليه سماعات أو مثل هذه الأشياء.

أمّا كتب ابن تيميّة فلا نجد فيها هذا، فهي عبارة عن وجادات، يعني أشياء قد وجدت، فالوجادة عند المحدّثين من أضعف طرق التحمّل»[1].

توبيخ علماء السنّة لابن تيمية

أضف إلى ذلك أيضاً أنّ ابن تيميّة غير مرضي ولا مقبول الحال عند العلماء، فقد وبّخه وأنّبه كبار علماء أهل السنّة، منهم: ابن حجر العسقلاني، وابن حجر الهيتمي، والذهبي في رسالته الذهبيّة المشهورة وغيرهم.

قال ابن حجر العسقلاني: «ومنهم من ينسبه إلى النفاق؛ لقوله في عليّ: إنّه كان مخذولاً حيثما توجّه، وأنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وأنّه قاتل للرئاسة لا للديانة. ولقوله: إنّه كان يحبّ الرئاسة، وأنّ عثمان كان يحبّ المال. ولقوله: عليّ أسلم صبيّاً، والصبيّ لا يصحّ إسلامه، وبكلامه في خطبة بنت أبي جهل. فإنّه شنّع في ذلك فألزموه بالنفاق؛ لقوله ﷺ: ولا يبغضك إلاّ منافق»[2].

وقال ابن حجر الهيتمي المكّي في (الفتاوى الحديثيّة): «ابن تيميّة عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه... . وبذلك صرّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب

---

(١) محاضرة عن السلفيّة للعلاّمة محمود سعيد ممدوح، بثّت في عدّة مواقع على شبكة الإنترنيت، انظر موقع: الأصلين www. aslein. net والنفيس، www. elnafeas. net.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ج١، صص ١٨٠ و ١٨١.

www.ketab.ir

أقواله... . ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتّفق على إمامته وبلوغه مرتبه الاجتهاد أبي الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصره وغيرهم من الشافعيّة والمالكيّة والحنفيّة...».

ثمّ قال: «والحاصل: أن لا يقام لكلامه وزن، وأن يرمى في كلّ وعر وحزن... ويعتقد فيه أنّه مبتدع ضالّ مضلّ غال، عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله، آمين»[1].

وقال الذهبي في رسالته الذهبيّة[2]: «أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟ بلى ـ والله ـ ما أذكر أنّك تذكر الموت، بل تزدري من يذكر الموت، فما أظنّك تقبل على قولي، ولا تصغي إلى وعظي، بل لك همّة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تنتصر حتّى أقول: وألبتّة سكت»[3].

ففي هذا المقطع يطالبه بالتوبة والإنابة والرجوع عن منهج يسوده ويشوبه الخطأ، ثمّ يقول: أنا أعلم أنّك لا تصغي لقولي ووعظي، بل جلّ همّك هو النقض بكلام خال من قبول الحقّ، والأدهى هو أنّك تقطع النصوص وأذناب الكلام، ثمّ يتمنّى الذهبي سكوته خير من كلامه.

وليت هذه النصائح والمواعظ تأخذ طريقها إلى فكر الدكتور القفاري الذي ما فتئ

---

(١) الفتاوى الحديثيّة، ابن حجر المكّي، ص ٥٨.

(٢) نسبة هذه الرسالة إلى الذهبي ثابتة وصحيحة، وقد ذكرها السخاوي قائلاً: «وقد رأيت له (أي: للذهبي) عقيدة مجيدة ورسالة كتبها لابن تيميّة، هي لدفع نسبته لمزيد تعصّبه مفيدة». الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، السخاوي، ص ١٣٦.

وكذلك ذكرها الدكتور بشّار عوّاد، في مقدّمة سير أعلام النبلاء، قائلاً: «ومع أنّ الذهبي قد خالف رفيقه وشيخه [أي: ابن تيميّة] في مسائل أصليّة وفرعيّة، وأرسل إليه نصيحته الذهبيّة التي يلومه، وينتقد بعض آرائه وآراء أصحابه بها، إلاّ أنّه بلا ريب قد تأثّر به تأثّراً عظيماً». سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، ص٣٨، مقدّمة الكتاب.

(٣) السيف الصقيل، تقي الدين السبكي، صص ٢١٧ و ٢١٨.

www.ketab.ir

يكفّر المسلمين ويتّهمهم بشتّى أنواع التهم من التبديع والتشريك والتشكيك في عقائد المسلمين، وإلقاء للشبه بلا دليل وبرهان صحيح. وياليته سكت ـ كما يتمنّى الذهبي لابن تيميّة ـ لكان أولى.

ابن الجوزي يُضعّف الإمام العسكري عليه السلام

وقوله: «ومنهم من ضعّفه بعض أهل العلم، وهو الحسن العسكري! ومنهم معدوم ولا وجود له، وهو إمامهم المزعوم منذ سنة (٢٦٠هـ)!».

نقول: الذي ضعّف الإمام العسكري عليه السلام هو ابن الجوزي في (الموضوعات)، قال: «والحسن بن عليّ صاحب العسكر، هو الحسن بن عليّ بن محمّد بن موسى بن جعفر، أبو محمّد العسكري آخر من تعتقد فيه الشيعة الإمامة... وليس بشيء»[1].

وهذا الذي وصفه الدكتور القفاري أنّه من أهل العلم لم يفسّر لنا ماهيّة هذا التضعيف، ولم نجد أحداً من كبار علماء الطائفة السنّيّة ممّن له الباع الطويل في علم الجرح والتعديل ضعّف الإمام العسكري عليه السلام، فهو انفرد بهذا الكلام، ولا علّة ولا تفسير لهذا الجرح، فهو جرح مبهم غير مفسّر، وقد تقرّر عند العلماء أنّ الجرح إذا كان غير مفسّر فلا قيمة له.

إذن فالتفسير الوحيد لهذا التضعيف هو النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام.

ابن الجوزي حاطب ليل

ثمّ إنّه في هذا المقطع يقول: إنّ الحسن العسكري هو آخر من تعتقد فيه الشيعة الإمامة.

والصحيح أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه هو آخر الأئمّة الذين تعتقد فيهم الشيعة، فصدق قول ابن حجر فيه: إنّه حاطب ليل.

---

(١) الموضوعات، ابن الجوزي، ج١، ص ٤١٥.

www.ketab.ir

قال ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» عند تعرّضه لقصّة نقلها ابن الجوزي: «دلّت هذه القصّة على أنّ ابن الجوزي حاطب ليل لا ينقد ما يحدّث به»[1].

سقطات ابن الجوزي وأغلاطه

مضافاً إلى ما صرّح به ابن حجر من عدم الدقّة في النقل وفيما يصنّفه،

قال الذهبي في «تذكرة الحفّاظ»: «وكان كثير الغلط فيما يصنّفه، فإنّه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره؟ قلت: نعم، له وهم كثير في تواليفه، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحوّل إلى مصنّف آخر، ومن أنّ جلّ علمه من كتب وصحف ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغي»[2].

ولعلماء الطائفة السنّية أقوال كثيرة في أوهامه وسقطاته، كابن الصلاح والسيوطي وابن عراق وابن كثير والزين العراقي وابن جماعة الكناني وغيرهم.

إذن فهل يعتدّ بكلام حاطب ليل، كثير الغلط، صاحب غرائب، عجول؟! وهل هذا إلاّ داء النصب الذي لا يستطيع ابن الجوزي أن يخرج أو يفرّ منه؟!

الذهبي يبجّل ويثني على الإمام الحسن العسكري عليه السلام

فالإمام الحسن العسكري عليه السلام ذكره الذهبي في ترجمته للإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، وقد أثنى وأطرى على هذه السلسلة الطاهرة بالجلالة والسيادة والشرف والصلاح للإمامة.

قال: «المنتظر الشريف، أبو القاسم، محمّد بن الحسن العسكري بن عليّ الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن زين العابدين بن عليّ بن الحسين الشهيد بن الإمام عليّ بن أبي طالب، العلوي الحسيني،

---

(١) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ج٢، ص ٨٤.

(٢) تذكرة الحفّاظ، الذهبي، ج٤، ص ١٣٤٧.

www.ketab.ir

خاتمة الاثني عشر سيّداً... فمولانا الإمام عليّ: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنّة بحبّه أشدّ الحبّ... وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول اللهﷺ وسيّدا شباب أهل الجنّة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك. وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة. وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيّد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة. وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمّة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور. وكان ولده موسى: كبير القدر، جيّد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نظراء في الشرف والفضل. وابنه عليّ بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيّره المأمون ولي عهده؛ لجلالته، فتوفّي سنة ثلاث ومائتين. وابنه محمّد الجواد: من سادة قومه. وكذلك ولده الملقّب بالهادي: شريف جليل. وكذلك ابنه الحسن بن عليّ العسكري»[1].

فنقول للدكتور القفاري الذي ضعّف بعضهم، واستهزأ بمن يقول بوجوب طاعتهم: هؤلاء الذين تتكلّم عنهم الشيعة هم أهل بيت النبيّﷺ الذي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم الثقل الأصغر الذي لا ينفكّ عن الكتاب بشهادة حديث الثقلين الصحيح والمتواتر بين الفريقين[2]. كيف لا ومن النجا إلى سفنهم فقد نجا، ومن تخلّف

(١) سير أعلام النبلاء، ج ١٣، صص ١١٩ـ١٢١.

(٢) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»، ونحوه عن مسلم في صحيحه كتاب السنن، وصحيح الترمذي.
وهذا المعنى قد ترجمه ابن حجر الهيتمي في صواعقه إلى حقيقة ناصعة وواضحة لا يمكن إلاّ التسليم والإذعان لها، قال: «وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، ويشهد بذلك الخبر السابق: «في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي... إلخ»، الصواعق المحرقة، ص١٤٩.
وقال ابن كثير في تفسيره: «وقد ثبت في الصحيح أنّ رسول اللهﷺ قال في خطبته بغدير خم: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنّهما لم يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»». وقال أيضاً: «قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح». تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٤، ص١٢٢. وستأتي الإشارة إلى تفصيل هذا الحديث في طيّات هذا البحث.

www.ketab.ir

ضلّ وهوى؟! كيف لا وهم معدن العلم؟! فرسول الله هو المدينة، وعليّ هو البـاب[١]، والشيعة قد وردت وولجت هذا الباب، وأيّ باب الذي يفتح ويتفتّق وينفجر منـه ألـف باب من ينابيع العلم والمعارف الإلهيّة[٢]؟!

منهج متعثّر لا يرقى إلى الاعتداد والوثوق به.

إذن من خلال ما تقدّم من ذكرنا لنماذج من كلمات الدكتور القفاري في فصله الذي عقده للمهدويّة بان مدى الوهن والضعف الذي وقع وتخبّط فيه، ونعتقد أنّ الخلل هو في المنهج الذي اتّبعه وسار عليه، فهو منهج متعثّر يشـوبه الكـثير مـن عـدم المصـداقيّة في الطرح وفي النقل من التراث الشيعي، فهناك هفوات وسقطات، ومجازفات وتناقضـات، ومفارقات لا ترتقي إلى مستوى باحـث ومحقّـق ينشـد الحقيقـة بحيـث يمكـن الوثـوق والاطمئنان بما يدّعيه[٣].

---

(١) روى المناوي في فيض القدير حديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليـأت البـاب»، ثمّ علّـق عليه قائلاً: «فإنّ المصطفىﷺ المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلّها ولابدّ للمدينة من باب، فأخبر أنّ بابها هو عليّ، فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأ أخطأ طريق الهـدى، وقـد شـهد لـه بالأعلميّـة الموافـق والمخالف، والمعادي والمحالف». ثمّ قال: «ذكر لعطاء أكان أحد من الصحب أفقه من عليّ؟ قال: لا والله. قال الحرّاني: قد علم الأوّلون والآخرون أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم عليّ، ومن جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب». فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ج٣، صص٦٠ و ٦١.

(٢) قال عليّؑ: «أيّها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطـرق الأرض». شـرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢، ص١٣٠.

وقول الخليفة عمر الشهير المستند إلى قول رسول اللهﷺ: «عليّ أقضاكم»، ولا يخفى على اللبيب إلى أنّهـا مسألة القضاء بالإضافة إلى أنّها تستلزم الورع والعدالة والتقوى ولكن أيضاً يلازمهـا العلـم، فلـو فرضـنا عدمه لعدم ملزومه، وبهذا يكون عليّؑ هو الأعلم والأفقه والأكفأ بشهادة الخليفة عمر.

(٣) أضف إلى ذلك الجهل الفاحش الذي حملته مفردات هذه الرسالة، والتي تثير السخرية والاسـتهجان، نـذكر منها على سبيل المثال:

نفي الإمامة لعدم وجودها في نهج البلاغة، قال: «كتاب نهج البلاغة الذي هو أصحّ كتاب عند الشيعة لا ذكر فيه للأئمّة الاثني عشر بأسمائهم وأعيانهم، بل جاء فيه ما ينقض مبـدأ حصـر الأئمّـة، حيـث قـال صـاحب نهج البلاغة:.. إنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر... يقاتل به العدو، وتأمن السبل، ويؤخـذ بـه للضـعيف من القويّ حتّى يستريح برّ، ويستراح من فاجر. فلم يحدّد الأئمّة بعدد معيّن، فـأين تـذهب الشـيعة، وهـي تزعم أنّها تصدّق بكلّ حرف في النهج؟». أصول مذهب الشيعة، ج٢، ص٨١٣. ⇦

www.ketab.ir

فحاول جهد إمكانه أن يشوّه المذهب الشيعي الإمامي بشتّى الوسائل، ولكن اتّضح وسيتّضح في فصول هذا البحث مدى جهل هذا الإنسان بما يحويه هذا التراث الثرّ من صدق وأمانة ونقاء؛ لأنّ حقيقة أُصوله ومبادئه وفروعه مستقاة من شجرة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، فأصلها رسول الله ﷺ، وفرعها عترته الطاهرة الذين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

سبب اختيار البحث

جاء اختيارنا لهذا البحث لتسليط الضوء حول فكر سلفي متشدّد متأثّر بنخبة

⇦ نقول: من قال إنّ الشيعة تصدّق بكلّ حرف من نهج البلاغة، ومنهج الشيعة قائم على التمحيص بجميع الكتب، فلا قداسة لأيّ كتاب سوى كتاب الله؟ ونعتقد أنّ أُنس القفاري بقداسة وعصمة الصحيحين أسقطته في هذه الهفوة. ثمّ أيّ ربط بين الإمامة وعدم وجودها في النهج؟ فنهج البلاغة كتاب بلاغي وخطب وأخلاق ومدرسة، بل ومنظومة تربويّة متكاملة رسمها أمير المؤمنين عليه السلام لتربية الأمّة. وأمّا الإمامة فقد تكفّلت كتب الحديث والتأريخ والسيرة ببيانها، وسيأتي بيان ذلك في طيّات هذا البحث.

وكذلك جهله أنّ زمان الإمام الحسن عليه السلام كان بعد الإمام الحسين عليه السلام، قال: «قالت كتب الشيعة: إنّ الناس ارتدّوا بعد وفاة الرسول إلاّ ثلاثة، قالت أيضاً: ارتدّ الناس بعد قتل الحسين إلاّ ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أُمّ الطويل، وجبير بن مطعم. فأنت ترى أنّ هذا النصّ لا يستثني أحداً من أهل البيت ولا الحسن بن عليّ الذي تعدّه الاثنا عشريّة إمامها، ويبدو أنّها لا تستثنيه؛ لأنّها عليه ساخطة لقيامه بمصالحة معاوية حتّى خاطبه بعض الشيعة بقوله: يا مذلّ المؤمنين». أُصول مذهب الشيعة، ج٢، ص٨٩٥.

فهنا جهل واضح حيث رتّب كلامه على تأخّر الإمام الحسن عن زمان أخيه الحسين عليه السلام!!

وكذلك جهله بالمفردات الكنائيّة والمجازيّة، وعدم فهمها وإدراكها بشكل صحيح، كما في قوله، نقلاً عن السيّد الخميني رحمه الله في كتابه الحكومة الإسلاميّة: «وإذا عزمنا على إقامة حكم إسلامي سنحصل على عصا موسى، وسيف عليّ بن أبي طالب»: «والجمع بين عصا موسى وسيف عليّ بن أبي طالب كناية ـ فيما يبدو لي ـ عن تعاون اليهود مع الشيعة في دولة الآيات». أُصول مذهب الشيعة، ج٢، ص٨٠٩.

فهنا تجلّى الجهل بصورة فوضويّة غريبة، فواضح أنّ المراد من عصا موسى هي الكناية والمجاز عن التأييد والنصرة الإلهيّة، وهذا بديهي، وأمّا الجمع الذي صوّره القفاري فهو عصبيّة عمياء ليس إلاّ. وكذلك عدّه أنّ كتاب الكشّي هو العمدة عند الشيعة في تقييم أسانيد الروايات، وأنّ الكافي هو من أصحّ كتبهم وغير ذلك الكثير.

فحري بالقارئ المتطلّع للوصول إلى النتائج الصحيحة أن يتأمّل بأقواله ويراجع المصادر الأساسيّة ويستقيها بنفسه؛ لعدم الوثوق والاطمئنان في كلماته كما تقدّم. وسيأتي لاحقاً أيضاً كيف تعامل مع مسألة المهدويّة؟ وكيف قطع النصوص وشوّه الحقائق بشكل لا نظير له؟

www.ketab.ir

ومرجعيّة روّادها ابن تيميّة، وابن حزم، ومحبّ الدين الخطيب، وإحسان إلهي ظهير، وإبراهيم الجبهان. ونعتقد أنّ الدكتور القفاري بلور أفكار هذه النخبة ـ ولم يكن هو الوحيد في صياغة هذه الأباطيل، بل إنّ هناك عملاً لجانيّاً منتخباً ومبرمجاً لخلق فتنة طائفيّة بين المسلمين ـ وألبسها ثوباً جديداً بعبارات فضفاضة، توحي للقارئ بأنّه يتحرّى الصدق والأمانة فيما ينقله عن أُصول مذهب الشيعة، لاسيما في مسألة الإمام المهدي عليه السلام، وتوصّل من خلال تأثّره بتلك المرجعيّة التي تركت بصمات واضحة على سير بحثه وتحقيقه، إلى نتيجة مفادها: أنّ مذهب الإماميّة مبنيٌّ على خرافات، وأنّهم وضعوا الأحاديث والروايات من عند أنفسهم، وبنوا مذهباً يقوم على الأساطير.

وإليك بعض مفرداته في هذا الجانب، قال: «وقد أجهد روّاد التشيّع أنفسهم في نشر الخرافات والأساطير عن أئمّتهم في ثوب قصصي مثير، أو في خطبة أو في شعر مبالغ في الغلو في مدح الأئمّة»[1].

«وكيف يغيب المسؤول الأوّل عن الأُمّة هذه الغيبة الطويلة؟ أليس هذا كلّه دليلاً واضحاً جليّاً على أنّ حكاية الغيبة أُسطورة من الأساطير التي صنعها المرتزقة والزنادقة والحاقدون؟!»[2].

«وكم هي معاناة أن تقرأ وتستمع لقوم أشقاهم الله فأضلّهم، وأعمى أبصارهم، فصاروا يتبعون إماماً معدوماً، ويقولون بكتاب موهوم، وجعفر مزعوم، وأساطير أُخرى»[3].

«على أنّ واضعي هذه الأساطير هم قوم قد فرغت عقولهم ونفوسهم من العلم والإيمان، وشحنت بالحقد والتآمر على المصلحين والأخيار، وأرادوا الدخول على الناس

(١) أُصول مذهب الشيعة، ج٣، ص ١٤٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥٤١.

www.ketab.ir

لإفساد أمرهم من طريق التشيّع!»[١].

والهدف بحسب رأيه هو: «تطلّع الشيعة إلى قيام كيان سياسي لهم مستقلّ عن دولة الإسلام، وهذا ما نلمسه في اهتمامهم بمسألة الإمامة»[٢].

ومن ثمّ ينهال على كبار علماء الشيعة بالقذف والسباب والشتائم والتكفير، وأقلّ ما تحلّى به من عبارات: «صاغرين، هربوا من الواقع إلى الأمال والأحلام»، و «النوكى»[٣]، و «من أخبث من سلك هذا الطريق شيخهم الخوئي»، و«شيوخ السوء أمثال المجلسي والكاشاني وغيرهم»[٤]. وهلم جرّا من هذه السفاسف البشعة التي يندى لها الجبين!!

فهل يا ترى هذه الكلمات تصدر عن عالم يدّعي التحقيق العلمي والأمانة والخلق؟!

وللأسف نجد أنّ هذه الأطروحة كرّمت برتبة الشرف الأولى، وروّج لها أصحاب هذا الفكر، بحيث أصبحت منهجاً تدريسيّاً في بعض الجامعات، وبدأت حملة لطبعها ونشرها في جميع الدول الإسلامية، وكذلك نشرها على شبكات الإنترنيت.

الهدف من البحث

فجاء هذا البحث لإماطة اللثام عن هذا المنهج الخطير، وأنّ روّاد هذه المرجعيّة لا علاقة لها بالفكر العام للمذهب السنّي، فهذا الفكر محصور بهذه الطبقة، وهي ليست بالضرورة تمثّل النخبة الكبيرة من الطوائف السنّيّة، من الشوافع والأحناف والمالكيّة وكذلك الحنابلة، فهناك طبقة كبيرة لا تلتقي مع هذا الفكر، وتشاطر إخوانها من الشيعة في عقيدة الإمام المهدي عليه السلام، فبعض مفكّري أهل السنّة اعتقدوا بخروجه وغيبته، كما سيأتي بيانه.

---

(١) أصول مذهب الشيعة، ج١، ص٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٠، والأنوك: الأحمق، وجمعه النوكى. لسان العرب، ابن منظور، ج١٠، ص٥٠١.

(٤) أصول مذهب الشيعة، ج٣، ص ١٤٦٤.

www.ketab.ir

وأمّا هذا المنهج الذي يرى أنّ كلّ ما عداه قائم على الخرافة والأساطير، فيجب التفريق بينه وبين هذه النخب، وأنّ مسألة الإيمان بظهور المهدي من آل محمّدﷺ هي مسألة إجماعيّة، والشيعة ترى أنّ الإمام المهديﷺ حيّ يرزق، وسيظهر في آخر الزمان عندما تمتليء الأرض بالظلم والطواغيت، فيأتي النداء الإلهي بظهور مخلّص ينقذ الأُمّة الإسلاميّة من ذلك الفساد والظلم؛ لتشرق الأرض بنور ربّها، وتسود منظومة العدل الإلهي بأجمل وأسمى صورها على يد قائدها المؤمّل والعدل المنتظر.

وهذا الإيمان إنّما ورثته واستقته الشيعة من النصوص المتواترة والصحيحة التي بشّر بها رسول اللهﷺ قبل ولادته، فليس الأمر بهذه السذاجة والسطحية التي تصوّر أنّ الشيعة قد اختلقوا هذه الأسطورة على شكل قصصي؛ ليقيموا دولة مستقلّة عن دولة الإسلام، بل الإسلام الذي جاء به رسول اللهﷺ هو من قرّر هذا الأمر بنصوص جليّة واضحة، والشيعة هي من التزمت بسنّة رسول اللهﷺ من خلال التمسّك بأقواله وأفعاله وتقريراته.

وأمّا الاهتمام بمسألة الإمامة التي أدرجها الدكتور القفاري فهذا لا علاقة له بقيام كيان شيعي، فأيّ ربط بين الأمرين؟ بل الشيعة ترى أنّ مسألة الإمامة هي مسألة نصّ وتعيين؛ لأنّه لا يمكن أن يترك رسول اللهﷺ أُمّته بلا وصيّ، وهو الأمين على صيانة رسالته من الانحراف؛ لأنّها لا زالت فتيّة، فهيهات أن يترك رسالته بدون أن يجد البديل له، فيختار بأمر الله سبحانه وتعالى شخصاً يرشّحه عمق وجوده في كيان الدعوة، فيعدّه إعداداً رسالياً وقيادياً خاصّاً، لتمثّل فيه المرجعيّة الفكريّة والزعامة السياسيّة للتجربة، وليواصل بعده قيادة الأُمّة وبناءها عقائدياً، وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذي يؤهّلها لتحمّل المسؤوليّات القياديّة؛ لأنّ الدعوة عمليّة تغيير، ومنهاج حياة جديد، وهي تستهدف بناء أمّة من جديد، واقتلاع كلّ جذور الجاهليّة ورواسبها من وجودها.

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشّح للإعداد الرسالي القيادي، والمنصوب لتسلّم مستقبل الدعوة، وتزعمّها فكرياً وسياسياً إلاّ عليّ بن أبي طالبؑ، فهو ربيبه الذي

www.ketab.ir

فتح عينيه في حجره، ونشأ في كنفه[١]، وتهيّأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطّه، ما لم يتوفّر لأيّ إنسان آخر[٢].

ونفس هذا النصّ على أمير المؤمنين يسري على الأئمّة من بعده؛ لأنّهم الثقل الأصغر، الذي لا يفارق الكتاب ولا ينفكّ عنه، وهم الخلفاء الاثنا عشر الذين مهّد لهم رسول الله ﷺ الخلافة والإمامة، أوّلهم أمير المؤمنين وآخرهم المهدي، وسيأتي الكلام مفصّلاً حول هذه النصوص.

منهجنا في البحث

إذن سينحصر منهجنا لهذا البحث بقراءة تأصيليّة تحقيقيّة متأنّية لما أثاره الدكتور ناصر القفاري، وما ورثه من مرجعيّة سلفيّة متشدّدة؛ لدحض شبهاته وتشكيكاته ـ والتي نجدها بعيدة كلّ البعد عن حقائق التأريخ وثوابته ووثائقه، وجهله بمعرفة علم الحديث ودرايته وروايته وطرقه ـ بالتحليل والمناقشة والنقد بموضوعيّة ومنهجيّة صحيحة، معتمدين في ذلك الدليل النقلي الصحيح ووفق معايير أهل الفن والصناعة من كلا المدرستين، فقد وثّقنا الأدلّة من مصادرنا التي شكّك فيها، مدّعياً أنّه لم يعمد إلاّ إلى كتبهم المعتمدة عندهم، في النقل والاقتباس لتصوير المذهب[٣]. وركّزنا على النقل من المصادر السنّيّة المعتبرة مع مراعاة الأقدميّة والأهمّيّة في تسلسل المصادر، لكي يكون الدليل أمتن وأقوى.

وكذلك اعتمدنا على أقوال علماء التأريخ والتراجم والسير، وأعطينا للعقل الدور والمساهمة في ردع ما يراه غير منسجم مع معطياته وفطرته.

---

(١) الكنف: الجانب والناحية. لسان العرب، ج ٩، ص ٣٠٨ «كنف».

(٢) نشأة التشيّع والشيعة، السيّد محمّد باقر الصدر، ص٦٤.

(٣) أصول مذهب الشيعة، ج١، ص٢٧.

www.ketab.ir

واتّبعنا أُسلوب الحوار العلمي المنطقي والإسلامي الحضاري، الذي ينأى عن التهجّم والسبّ والشتم، بعكس ما تناوله الدكتور في منهجيّته العدوانيّة التكفيريّة، فأعطينا مساحة لاحترام ما يؤمن به من شخصيّات علمائيّة. وهذا هو ديدن الشيعة على طول التأريخ.

وابتعدنا قدر الإمكان عن المسائل الفلسفيّة التي لا يؤمن بها المذهب السلفي، وتركنا الإطناب المخلّ والمملّ في بعض الأحيان، وكذلك الاختصار الذي قد لا يوصل الفكرة بشكل كامل، فاقتصرنا في أجوبتنا على الشبهات على القدر الذي يفنّدها بإمعان ودقّة علميّة، ووفق موازين منهجة يؤمن بها الخصم.

وجاءت أجوبتنا على منهج توضيحي، وذلك من خلال بيان الشبهات ومرتكزاتها، ومن ثمّ الإجابة عليها، تارة بالنقض أو الحلّ، أو دمج كلا الأُسلوبين، أو بيانها بأُسلوب آخر.

وسيجد قارئنا العزيز مدى السذاجة في هذا الفكر والاختلال والتناقض في المنهج الذي سار عليه في مسألة مهمّة ومحوريّة في تأريخ البشريّة، ألا وهي مسألة المهدويّة والغيبة.

خطّة البحث

تعتمد خطّة بحثنا على بحوث تمهيديّة وفصول أربعة، وهي كالتالي:

البحوث التمهيديّة:

فقد رأينا أن نذكر مقدّمة تمهيديّة نبيّن فيها المنهجيّة الصحيحة للحوار، ومن ثمّ تطبيق هذه المنهجيّة على كتاب الدكتور القفاري، فوجدنا أنّ هناك غياباً كاملاً للمنهجيّة العلميّة عنده، ولكي نثبت هذه الدعوى أخذنا عيّنات من تحقيقه لمسألة المهدويّة والغيبة، ونقدنا بعض تلك الأقوال بموضوعيّة وعلميّة، لكي نعطي للقارئ فكرة ـ ولو جزئيّة ـ حول المنهج الذي قدّمه لنا القفاري في مقدّمة كتابه، وأنّه ليس

www.ketab.ir

بذلك المستوى من الصدق والأمانة والموضوعيّة التي شرطها على نفسه في هذا الكتاب.

ثمّ ذكرنا سبب اختيارنا لهذا البحث، و الهدف منه، وماهيّة المنهج الذي نسير عليه، وكذلك بيان خطّة البحث. وهذا النوع من البيان فيه فائدة كبيرة، وهي اطّلاع القارئ على جزئيّات سير البحث قبل أن يلج في فصوله.

الفصل الأوّل: الشبهات التي أُثيرت حول أصل وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه.

أ ـ الإمام المهدي عجل الله فرجه شخصيّة خياليّة أُسطوريّة رمزيّة.

ب ـ التعارض في أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ج ـ عدم إخراج البخاري ومسلم أحاديث المهدي في صحيحهما.

د ـ إنّ الإمام العسكري عليه السلام مات بلا عقب.

هـ ـ اضطراب أمر الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام.

و ـ بطلان دعوى أنّ للإمام الحسن العسكري عليه السلام ولداً خفيّاً.

الفصل الثاني: الشبهات التي أُثيرت حول أسباب نشوء الاعتقاد بالمهدويّة والغيبة.

أ ـ تطلّع الشيعة لقيام كيان سياسي مستقلّ عن دولة الإسلام.

ب ـ القول بالمهديّة ينشط ويكثر دعاته بعد وفاة كلّ إمام.

ج ـ سبب القول بالغيبة الرغبة في الاستئثار بالأموال.

د ـ رجوع القول بالمهديّة والغيبة إلى أُصول مجوسيّة.

هـ ـ المقابلة بين عبد الله بن سبأ وعثمان بن سعيد العمري.

و ـ سبأيّة عثمان بن سعيد العمري.

ز ـ تسريب نظريّة المهدي والغيبة عن طريق حكيمة.

الفصل الثالث: الشبهات التي يلزم منها عدم التصديق بالإمام المهدي عجل الله فرجه.

أ ـ التنافي بين علّة الغيبة ـ خوف القتل ـ وبين العلم بموته.

ب ـ غيبات بعض الأنبياء لا تدلّ على وقوع غيبة المهدي.

ج ـ استبعاد بقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه حيّاً كلّ هذه السنين.

www.ketab.ir

د ـ دفع شبهة المقارنة بالهداية.
هـ ـ شبهة الدفاع عن الغيبة أبطلها الشيعة أنفسهم.
الفصل الرابع: الطعن والتشكيك بعدد أئمّة الشيعة، ومنهم الإمام الثاني عشر.
أ ـ أئمّة الشيعة ثلاثة عشر وليس اثني عشر.
ب ـ حصر الأئمّة بعدد معيّن لا يقبله العقل ومنطق الواقع.
ج ـ كتمان وسريّة مبدأ الإمامة يؤدّي إلى عدم تعيين أشخاص الأئمّة.
د ـ خلاصة البحث.
هـ ـ كلمة خاتمة.

شكر وتقدير:

لا يسعني وأنا أُقدّم هذا الكتاب لقارئي العزيز إلاّ أن أشكر وأُثمّن كلّ من قدّم لي المعلومة وساهم في إنجاز هذا البحث، وأخصّ بالذكر الأُستاذ الدكتور السيّد محمّد الحسيني القزويني، فجزاه الله خيراً، وكذلك أتقدّم بالشكر لجميع أساتذتي الذين نهلت من علمهم الفيّاض واقتبست من حكمتهم، والشكر موصول لجميع الإخوة الذين بذلوا جهدهم في مساعدتنا لإخراجه بهذه الحلّة وهيئة الجميلة.

وأخيراً أسأل الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه خيرنا وصلاحنا في ديننا ودنيانا، إنّه وليّ التوفيق والسداد.

www.ketab.ir